ياء المتكلم حقيقتها ومهماتها

أ. م. د. هشام سعيد محمود النعيمي

الاستاذ الدكتور في كلية العلوم الاسلامية

المقدمة

الحمد لله العلي القدير، الخبير العليم، و الصلاة والسلام على نبيه محمد قائدنا وحبيبنا، و على اله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

مواضيع الكلام العربي الفصيح تتطلب البيان والتوضيح ودقة التفصيل، و بيان الآراء الصحيحة المشهورة ونهج طريقتها، والثبات عليها لما في ذلك من يسر بعيدا عن العسر.

لذا ارتأيت أن ابحث في (ياء المتكلم) لبيان حقيقتها و وجوه استعمالها، وقسمت بحثي المسمى بـ(ياء المتكلم حقيقتها ومهماتها) على مقدمة و ثلاث مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: تسمية ياء المتكلم و حقيقتها:بينت فيه أسماءها، و وضحت حقيقتها من حيث اللفظ والمعنى.

المبحث الثاني: بناء ياء المتكلم: بينت الآراء فيه.

البحث الثالث: أحوال الاسم المضاف إلى ياء المتكلم، ذكرت فيه الآراء.

و من ثم ذكرت النتائج التي توصلت اليها في الخاتمة.

والله الموفق

المبحث الاول

تسمية ياء المتكلم و حقيقتها

تسمية الشيء تأتي من أحوال المسمى ، و هذا لم يكن دائما فربما دل الشيء حقيقة الشيء

إذ ياء المتكلم التي تخص الشخص المتكلم حين يقول: ((كتابي)) هي ياء المتكلم و قد صرح في ذلك في كتاب النحو (١)، و هي التسمية المشهورة بين النحو وطلاب العلم من ذو التخصص.

بعض النحويين يذهب إلى تسميتها بياء النفس إذ قيل: ((وإنما حدوثها عن علة حدوث أي شيء و هو وقوع ياء النفس بعدها الأتراك تقول: جاء غلامي)) (٢).

و التسميتان مترادفتان و معناها واحد، فياء المتكلم هي ياء النفس ، لان المتكلم ياؤه ياء نفسه . ومن الممكن إن نسميها ياء الإضافة، علما إن سيبويه يطلق عليها هذه التسمية كثيرا يقول: (واعلم إذا وافقت الياء الساكنة ياء الإضافة في النداء لم تحذف أبدا ياء الإضافة ولم يكسر ما قبلها) (٣).

و قد سمى سيبويه (ياء الإضافة) ب(ياء النسبة، وذلك لان الإضافة: نسبة شيء إلى شيء، فحين تتصل الياء بالاسم وبالفعل و بالحروف يمكننا إن نسميها ياء النسبة.

و تسمية سيبويه (ياء المتكلم) ب (ياء الإضافة) تتجه اتجاهين:

الأول: إما إن يقصد سيبويه بها إضافتها إلى الاسم فقد تطرق لذلك كثيرا.

---

(١) ينظر شرح الكافية: ٢٩٣/١، و حاشية الصبيان: ٢٨٣/٢

(٢) شرح المفصل: ٣٢/٣.

(٣) كتاب سيبويه : ٢٢٣/٢ ، و ينظر همع الهوامع : ٥٣/٢

الثاني: و إما إن يقصد بها ياء النسبة، ففي هذا عموم يدخل فيه الاسم والفعل و الحرف.

و حقيقة (ياء المتكلم) أنها من الضمائر المتصلة، و هي من ضمائر النصب والجر، و كونها مستقلة لاتعني شيئا لكنها مع الاسم: كتابي، و مع الفعل: هداني ، ومع الحرف : لعلي ، يتضح معناها ، وفي هدلي هذا يمكننا إن نقول : إن ياء المتكلم مع غيرها و خاصة الاسم يعطيان معنى :

١. الملك: تقول هذا كتابي، هذه داري ، فالمعنى المقصود هنا التملك .

٢. شبه الملك: تقول: هذا عملي ، هذه شجاعتي ، فالمعنى المقصود هنا : شبه الملك و ذلك لانهما لا يمتلكان .

علما أن الضمائر تنوب عن ذكر الاسم و تكراره فحين أقول: جئتُ، جِئتَ، جئتِ ، فالتاء هنا تنوب عن ذكر اسم المتكلم أو المخاطب ، وكذلك (ياء المتكلم) تنوب عن ذكر اسم المتكلم ، فبدل ان أقول : ((كتاب هشام)) والمقصود به المتكلم أقول : كتابي يقول سيبويه :(ألا ترى انك تقول اذا أضمرت نفسك و أنت منصوب : ضربتني ، قتلتني ، وأنني ، ولعلني . وتقول إذا أضمرت نفسك مجرورا: غلامي ،و عندي ، و معي)(١)

و الله الموفق إلى ما فيه الصواب

---

(١) كتاب سيبويه : ٢/٣٦٨و٣٦٩

المبحث الثاني

بناء ياء المتكلم

ياء المتكلم من ضمائر النصب و الجر ، والضمائر كما تعلمون كلها مبنية على وفق قاعدة البناء ، و هي تلازم حالة واحدة اينما وجدت مثال ذلك : ((انت)) فهو ضمير مبني على الفتح .

لذا لابد لنا ان نحدد بناء ياء المتكلم على وفق مذاهب النحويين . قال سيبويه:(أعلم أن الياء لا تغير الالف.تحركها بالفتحة لئلا يلتقي الساكنان وذلك قولك: بشراي،وهداي، و أعشاي) (١)

قوله : (لئلا لا يلتقي ساكنان) يفهم منه ان حركة الاصل لياء المتكلم السكون وحين يلتقي الساكنان (الالف و الياء) تحرمك الياء بالفتح تخلصا من التقاء الساكنين .

قال ابن يعيش : (اعلم ان ياء المتكلم حكمها ان يكسر ما قبلها نحو قولك : غلامي ، و صاحبي ، و دلوي ، و انما وجب كسر ما قبل ياء المتكلم تكون ساكنة و مفتوحة ، فلو لم يكسر ما قبلها لكانت تنقلب في الرفع واوا في لغة من اسكنها ، وكان اللفظ في الرفع : هذا غلامو فيذهب صيغة الاضافة ، و كانت تنقلب في النصب الفا في لغة من فتحها فكنت تقول : رايت غلاما ، فلما كان اعراب ما قبلها يودي الى تغييرها و انقلابها الى لفظ غيرها رفضوا ذلك و عدلوا الى كسر ماقبلها البتة) (٢) فقوله : (ان ياء التكلم تكون ساكنة و مفتوحة) . فالسكون والفتح علامتا بناء ، و الاصل في البناء ملازمة حالة واحدة لا حالتين وذهب اخرون هذا المذهب اذ قيل : (و اذا اضيف السم الصحيح و الملحق به الى ياء المتكلم كسر اخره ، و الياء مفتوحة او ساكنة ، فان كان اخره الفا ثبتت و هذيل تقلبها لغير التثنية ياءً ،

(١) كتاب سيبويه:٣/٤٣١

(٢) شرح المفصل:٣/٣١ و ٣٢

وان كان ياء أدغمت، وإن كان واواً قلبت ياءً وأدغمت وفتحت الياء للساكنين)(١) ويجوز الفتح أو السكون عند ابن هشام(٢) .ومن النحو بين من يذهب الى أن فتح ياء المتكلم وسكونها أصلان، ومنهم من قرر أن الأصل السكون،ومنهم من قال :إن الأصل:الفتح،ومنهم من ذكر أن الأصل الأول:السكون،والأصل الثاني:الفتح)(٣)

والذي أذهب إليه بصفتي باحثا فأقول: إن ياء المتكلم من الضمائر المبنية، والمبني كما علمنا يلازم أصلاً واحداً في بنائه لا أصلين كما زعموا، علماً أن الأصل في البناء السكون،فياء المتكلم مبني على السكون،وحين يلتقي ساكنان يُبدل سكون الياء بفتحة عارضة تخلصاً من التقاء الساكنين، وما يشهد لذلك من القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى: ((قال أبشرتموني على أنْ مني الكِبَر فَبِمَ تبشرون))(٤).

نلاحظ في ((أبشرتموني عَلى)) ياء المتكلم ساكنة،وحرف العين من (على) مفتوح، و هذا دليل على ان الاصل في البناء السكون ، و في (مني الكبر) الياء مفتوحة بالفتح العارض و اللام من الكبر ساكنة وذلك تخلصا من التقاء الساكنين .

---

(١) شرح الكافية : ٢٩٣/١

(٢) ينظر ضياء السالك الى اوضح المالك : ٣٩٧/٢

(٣) ينظر حاشية الصبيان : ٢٨٢/٢

(٤) الحجر : ٥٤

و في قوله تبارك و تعالى : ((قال ربِ السجن احب الي مما يدعونني اليه)) (١) فلو اثبتنا الياء في (ربي) فالياء تكون ساكنة ، و كذلك السين الاول من (السجن) لذا يلتقي ساكنان ، فتخلصا من التقائهما حذف الياء ، و اذا ثبتت الياء حركت بالفتح تخلصا من التقاء الساكنين اذ قيل : (و فتحت الياء للساكنين) (٢) و في قوله العلي العظيم (يدعونني اليه) تلحظ ان الياء في (يدعونني) ساكنة ، والهمزة في (اليه) متحركة بالكسر فلم يلتقِ ساكنان ، فالياء هنا مبنية على السكون و هو الاصل .

و اذا كان الفتح هو الاصل لِمَ لم يثبت ؟ فان ثبت كان ذلك صواباً فليس من داعٍ الى اسكان الياء ، علماً انه بالاسكان كثيراً ، يلتقي الساكنان ، و في هذا دليل قاطع على ان الاصل في الياء الاسكان ، و تحريكها بالفتح مسالة طارئة من اجل التخلص من التقاء الساكنين ، و لم يكن الفتح حركة بناء او حركة إعراب .

---

(١) يوسف : ٣٣

(٢) شرح الكافية ٢٩٣/١

المبحث الثالث

أحوال الاسم المضاف إلى ياء المتكلم

ألاسم المضاف إلى ياء المتكلم يكسر أخره معها، فما حقيقة هذه الكسرة؟ أهي كسرة بناء أم إعراب، أم هي عارضة، وفي هذه المسألة أراء مختلفة هي:

(احدها: أنه معرب بحركات مقدرة في الأحوال الثلاثة، وهو مذهب الجمهور.

و الثاني: أنه معرب في الرفع و النصب بحركة مقدرة، وفي الجر بكسرة ظاهرة، و اختاره ابن مالك في التسهيل.

و الثالث: أنه مبني و إليه ذهب الجرجاني و ابن الخشاب.

و الرابع: أنه لا معرب و لا مبني و إليه ذهب ابن حنى.

و كلا هذين المذهبين [الثالث و الرابع] بين الضعف و الله اعلم)(١)

والذي أراه هو رأي الجمهور، ففي قولك (جاء أبي) ترى لفظة (أب) بكسر الباء، وهذه الكسرة عارضة من أجل مجانسة الياء، ولم تكن علامة بناء أو إعراب، ففي حالة الرفع تقدر الضمة على الباء، وفي حالة النصب تقدر الفتحة على الباء، وفي حالة الجر تقدر الكسرة، وذلك من أجل أن يتحقق سريان نظام واحد لا نظامين كما في الرأي الثاني.و الكسرة العارضة أ تكون واجبة أم جائزة ؟ الجواب هو:(يجب كسر أخره كغلامي، ويجوز فتح الياء وإسكانها..... ويستثنى من هذين الحكمين أربع مسائل هي: المقصور: كفتى وقذى، والمنقوص: كرام و قاض، والمثنى: كابنين وغلامين، وجمع المذكر السالم كزيدين ومسلمين، فهذه الأربعة اخرها واجب السكون، والياء معها واجبة الفتح)(٢)

---

١) حاشية الصبان:٢/٢٨٣

٢) (٢) ضياء السالك إلى أوضح المسالك:٢/٣٩٧

يقول ابن عقيل في شرحه على ألفية ابن مالك(فالحاصل أن ياء المتكلم تفتح مع المنقوص ك:(راميّ)، والمقصور ك:(عصايَ)، والمثنى ك:(غلامايَ) رفعا، و(غلاميّ) نصبا وجرا، و جمع المذكر السالم ك(زيديّ رفعا ونصبا وجرا)(١).

---

(١) شرح ابن عقيل: ٢/٩١

وما ذهب إليه الجرجاني وابن الخشاب أن الاسم المضاف إلى ياء المتكلم مبني على الكسر نحو (غلامي)فما هي علة البناء ؟

قال ابن الشجري:(إنما وجب بناء ما قبل ياء المتكلم على الكسرة لأنهم لو أعربوه لم تسلم الياء مع الضم والفتح، إذ الضم يقضي قبلها إلى الواو، والفتح يقضي قبلها ألفا)(١)

فهل من داع إلى البناء من غير علة البناء، علما أن علة البناء في الاسم شبه الحرف، فلفظة:(كتابي) أو(غلامي) وما جرى مجراهما لا تنطبق عليهم هذه العلة فلم تكن الحالة بناء، والذي لا يكون بناء يكون إعرابا، ومما يؤكد هذا قول ابن مالك:

والاسم منه معرب ومبني لشبه من الحروف مدني(٢)

وقوله:ومعرب الأسماء ما قد سلما من شبه الحرف كأرض وسما(٣)

فالكسرة الطارئة اجتلبت لمجانسة الياء، ومن اجل فصاحة اللغة فضلا على ذلك إن انشغال المحل بالكسرة يمنع من ظهور الحركات الثلاث، ولو سمحنا لهذه الحركات بالظهور تغير الياء، فلفظه (كتابي) ولو أظهرت الضمة على الياء لأصبحت (كتابو) انقلب الياء واوا.ولو ظهرت الفتحة أصبحت (كتابا) انقلب الياء ألفا، ولو ظهرت الكسرة بقي الياء(٤)، والذي يتحتم هنا بقاء الياء لذا ظهرت الكسرة الطارئة وبقي الياء.

والاسم حين يضاف إلى ياء المتكلم يعرب إعراب الاسم المقصور، وذلك بتقدير الحركات الثلاث على الألف لتعذر ظهورها، وكذلك هنا تعذر ظهور الحركات لانشغال المحل بالكسرة الطارئة المجانسة للياء.

والله اعلم

---

(١) الامالي الشجرية: ٣/١

(٢) شرح ابن عقيل: ٢٨/١

(٣) شرح ابن عقيل: /٣٥١

(٤) ينظر الامالي الشجرية:٣/١، وشرح المفصل:٣٢/٣

الخاتمة

ومن خلال بحثي المسمى بـ(ياء المتكلم حقيقتها و مهماتها) توصلت إلى نتائج مهمة هي:

أولا: المبحث الأول:

١- تعرفنا على تسميات (ياء المتكلم) وهي:-

ياء النفس- ياء الإضافة، وأضفت تسمية أخرى هي: ياء النسبة

٢- قمت بتفسير ياء الإضافة عند سيبويه وقلت: تسمية سيبويه تتجه اتجاهين:

الأول: إما أن يقصد بها ياء النسبة ففي هذا عموم يدخل فيه الاسم والفعل والحرف.

الثاني: وإما أن يقصد بها إضافتها إلى الاسم حين تضاف، ومعناها مع الاسم يكون:

أ-للملك: تقول: هذا كتابي-هذه داري، فالمقصود هنا التملك.

ب-لشبه الملك: تقول: علمي-شجاعتي، فالمقصود هنا شبه الملك.

ثانيا: المبحث الثاني:

قيلت أراء في بناء ياء المتكلم، وقلت:

إن المبني يلازم في بنائه أصلا واحدا لا اصلين كما زعموا، فياء المتكلم مبني على السكون، وحين يلتقي مع حرف ساكن يتحرك بالفتح تخلصا من التقاء الساكنين، أو تحذف الياء في

هدى قول الله سبحانه وتعالى: ((قال أبشرتموني على أن مسّني الكبر فبم تبشرون)) وقوله جل وعلا ((قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه)) علما أن الياء لو بنيت على الفتح لبقيت الفتحة دائما ولم تحتج إلى السكون.

ثالثا: المبحث الثالث:

الاسم المضاف إلى ياء المتكلم قيلت فيه أراء عدة من حيث البناء والإعراب، والرأي الذي أميل إليه: انه معرب بحركات مقدرة في الرفع والنصب والجر، ليكون سائرا على نظام واحد لا نظامين. علما أن الذي صرح ببنائه ليس له دليل، وما ذكر في البناء مخالف للمسالة. والأصح معاملة الاسم المضاف إلى ياء المتكلم معاملة المقصور.